العرب
السبت 2019/11/16
السنة 42 العدد 11530

راشد الغنوشي سياسي بامتياز.. فلماذا الغضب إذا؟

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

أثبت راشد الغنوشي، زعيم حركة النهضة التونسية، أنه سياسي بامتياز، ومع ذلك أثار انتخابه رئيسا للبرلمان غضب الكثير من التونسيين.

كل ما عمله الغنوشي أنه التزم بقواعد اللعبة، ليست فقط السياسية، بل واللعبة الديمقراطية أيضا. هل هناك في عالم السياسة من لا يتفق مع القول "في السياسة لا يوجد صديق دائم ولا عدو دائم"؟ بالتأكيد لا يوجد، لسبب بسيط، لأن من يقتنع بعكس ذلك لن يجد له مكانا في عالم قائم على تصيد الفرص.

قد تكون قصة التحكيم بين علي ومعاوية، وخلع أبي موسى الأشعري لصاحبه علي، وتثبيت عمرو بن العاص صاحبه معاوية، بعد أن اتفق الاثنان على ترك الأمر للشورى، مشكوكا فيها، إلا أنها تؤسس لقاعدة هامة في علم السياسة، تنسب إلى ميكافيلي. وكان الأصوب لو أنها نسبت إلى معاوية.

الغاية تبرر الوسيلة... وغاية أي سياسي أن يحكم. أما الوسيلة فيمكن دائما أن يأتي ما يبررها.

وسيلة الحكم في تونس ديمقراطية، تمر عبر صناديق الاقتراع، وبما أن الخلافات والآراء في تونس لا يمكن حصرها، أو تصنيفها ضمن تيارين أو ثلاثة أو أربعة، فقد تعددت الأحزاب، وتعدد الساعون للحكم.

صناديق الاقتراع منحت النهضة 52 مقعدا، أي أقل من ربع مجموع النواب الـ217، ما دفعها إلى الدخول في مشاورات مع باقي الأحزاب، لكي تتمكن من تشكيل الحكومة.

إجراء مفهوم، له ما يبرره. المفاجأة كانت دخول النهضة في مفاوضات مع حزب "قلب تونس"، الذي يرأسه رجل الأعمال نبيل القروي، الأمر الذي اعتبر تحولا في موقف حركة النهضة، التي أعلنت في وقت سابق، وفي أكثر من مناسبة، أنها استثنت خصمها الليبرالي، إلى جانب الحزب الدستوري الحر، من الحكومة الجديدة.

ماء الحكم وحده سيكشف إن كان الغنوشي يجيد السباحة في بحر السياسة، أم هو مبتدئ سيجرفه تيارها

وكان القروي، مؤسس حزب "قلب تونس" رفض في تصريحات سابقة، إمكانية التحالف مع النهضة، بل إنه اتهمها بالوقوف وراء سجنه، بتهم غسل أموال وتهرب ضريبي خلال الحملة الانتخابية للرئاسية التي ترشح لها.

واشترط القروي، الذي تمكن من الحصول على 38 مقعدا في البرلمان، ترشيح شخصية بخلفية اقتصادية لرئاسة الحكومة القادمة.

"توافق اللحظات الأخيرة" أعاد إلى الأذهان سياسة التوافق التي انتهجها حزب "نداء تونس" والنهضة منذ عام 2014. وكان الغنوشي قد واجه بسببها العديد من الانتقادات من داخل حزبه، وصلت إلى حد المطالبة بتنحيته ودعوته إلى مغادرة الحياة السياسية، من قبل قيادات حمّلته مسؤولية "فشل" سياسة التوافق في الحكم.

ولكن هناك من ينظر للغنوشي، الذي عاد إلى تونس من منفاه في 30 يناير 2011، حيث وجد آلافا من الأنصار في استقباله في مطار تونس قرطاج، بوصفه رجل وفاق بين حزبه الصاعد حديثا وبين باقي الأحزاب العلمانية، وأبرزها تحالفه مع خصمه الرئيس السابق، الباجي قائد السبسي، زعيم حزب حركة نداء تونس.

كما يحسب للغنوشي نجاحه في تحييد الجناح المحافظ داخل حركة النهضة، ومحاولته إدخال إصلاحات للفصل بين الجانب الدعوي والسياسي والحد من صلات الحزب بالتنظيم العالمي لجماعة الإخوان المسلمين. وكلها قرارات يرى فيها تونسيون علمانيون تكتيكا مؤقتا، يخفي استراتيجية تتعاطف مع القوى السلفية المتشددة، خصوصا بعدما أدلى بتصريح صحافي في 2012 قال فيه إن "معظم السلفيين يبشرون بثقافة ولا يهددون الأمن"، قبل أن يعلن لاحقا أن "هؤلاء الناس يمثلون خطرا، ليس على النهضة فقط، بل على الحريات العامة".

تهم ينفيها الغنوشي، ولا يستطيع خصومه تقديم ما يثبتها، خاصة وأن النهضة أعلنت بتشجيع منه تبنيها خيار المدنية، في مؤتمرها العام في 2016، وتمّت إعادة انتخابه رئيسا لها، رغم معارضة عدد من القيادات.

وقبلت الحركة أيضا عدم التنصيص على الشريعة الإسلامية في الدستور التونسي، الذي تم إقراره في عام 2014.

راشد الغنوشي شخصية محيرة، ولكنها شخصية ذكية وميكافيلية، تفرض الاحترام حتى على الخصوم، وقد نجح في الفترة الماضية في تلافي كل السهام الموجهة إليه، ببساطة لأنه اختار تحريك خيوط اللعبة من وراء الستار.

اليوم اختار أن يقف أمام الستار، وأن يشارك مباشرة في إدارة المشهد السياسي... وهذا من حقه، ومن حق تونس عليه. التونسيون اختاروه ليحكم، وهذا ما يجب أن يفعله.

الأمر الآن أصبح حساب أرباح وخسائر، بورقة وقلم... ماء الحكم وحده سيكشف إن كان الغنوشي يجيد السباحة في بحر السياسة، أم هو مبتدئ سيجرفه تيارها.

البطولات الهزلية للأسد

بهاء العوام
صحافي سوري

كلما امتد أمد الأزمة السورية كلما تكشفت حقيقة نظام بشار الأسد، القائد الذي "هزم" المؤامرة الكونية على بلاده، وهو مجرد ممثل من الدرجة العاشرة على مسرح السياسة العالمية. آخر من يعلم، ماذا يحدث في البلاد منذ سنوات، لكنه ينضح بالفلسفة، التي تفسر كل ما يدور حوله بكل حكمة.

في مقابلة الأسد الأخيرة مع الإعلام المحلي، نفى علمه بعملية قتل زعيم داعش أبوبكر البغدادي. أراد أن يحرج الرئيس الأميركي دونالد ترامب، الذي شكر سوريا على مساعدتها في نجاح العملية، رغم أنه امتدح ترامب في وضوحه ومباشرته في ما يفعله، مقارنة بالرؤساء السابقين للولايات المتحدة.

لن يخطر ببال الأسد أن المساعدة السورية، التي تحدث عنها ترامب، قد تأتي من غيره في نظامه المنيع. فالأسد يمسك بكل خيوط اللعبة ويعلم الجهر وما يخفى في بلاده، باستثناء ما يدور في القواعد العسكرية الروسية والإيرانية على الأراضي السورية، وبعض الزيارات المفاجئة له من مسؤولي البلدين.

يحتاج الأسد بين الحين والآخر إلى تذكيره بحقيقة صلابة سلطته، فيخرج مسؤول إيراني أو روسي ليقول إنه لولا بلاده لرحل الأسد منذ العام الأول للثورة السورية. لا يكترث بشار لذلك، ويواصل حياته كرئيس لبلاد ثلثها مدمر وثلثها مهجور وثلثها مضطهد، وكلها محتلة من قبل خمس دول أجنبية.

كم يثير الشفقة عندما يتملكه وهم النصر؟ يخرج رأس السلطة في دمشق إلى الإعلام ليتفاخر بإنجازاته ويتوعد بطرد دول ومحاربة جيوش واسترداد آبار نفط وأراض تمردت على سلطته. يتجنب الروس والإيرانيين إحراجه في الرد رسميا على ترهاته، فيدفعون بإعلامهم ليتكفل بالمهمة.

لا يهم ذلك أيضا. فلكل الإهانات السياسية والإعلامية وحتى الشخصية، تحليلها الرياضي وتفسيرها المنطقي في خطب ومقابلات السيد الرئيس. فما يأتي من الحلفاء هو نقد بناء، وما يقوله الخصوم يكون بدافع الغيرة من صمود الأسد وصمود بلاده، التي تنتمي إلى محور المقاومة المهترئة.

الحملة التي شنها الإعلام الروسي ضد الأسد مؤخرا، توضح صورة الرئيس في أعين موسكو. وحتى لو لم يؤنب الروس الأسد على إهانته للرئيس رجب طيب أردوغان، كان يكفي مراقبة مجريات الأحداث منذ بدء العدوان التركي على مناطق الشمال، لتدرك وهم النصر الذي يعيشه النظام.

الأسد انتظر طويلا وقوع العدوان التركي كي يهرول إليه أكراد الشمال صاغرين يطلبون الحماية، ولكن ما حدث هو أن الأكراد ذهبوا للروس في قاعدة حميميم وأبرموا معهم اتفاقا نفذه الأسد بحذافيره، ثم نفذ اتفاقا أبرمه الرئيس فلاديمير بوتين مع أردوغان في منتجع سوتشي دون زيادة أو نقصان أيضا.

لم ينخرط الأسد في مواجهة العدوان التركي كما كان يزبد ويرعد، وإنما نشر قواته حول المناطق التي احتلها الأتراك. لم تكن المسألة تتعلق بتحرير الأراضي المغتصبة، وإنما هرول الأسد إلى شرق الفرات ليستعيد حقول النفط ويجد لنفسه موطئ قدم، إلى جانب القوات الروسية والتركية والأميركية والكردية. ومن هناك يعلن للعالم انتصارا جديدا في حربه الدونكيشوتية.

لا يستعجل "الأسود" تحرير الأراضي السورية التي تحتلها دول، يركزون فقط على المناطق التي تسيطر عليها المعارضة. مات الأسد الأب دون أن يحرر لواء الإسكندرون والجولان، وجاء الابن ليُنسي المنطقتين، ويتنازل عن أماكن أخرى للروس والإيرانيين والأميركيين والأتراك، مقابل أن يبقى رئيسا ولو على بضعة أمتار حول القصر الجمهوري في دمشق.

لا نبالغ في القول إن آخر شخص يريد انتهاء الأزمة السورية هو بشار الأسد، لأن انتهاءها يعني انتهاء سلطته الوهمية. ولأجل هذا يبذل الرئيس كل ما هو غالٍ ونفيس، لتأخير أي حل للأزمة يقوم على القرارات الدولية بإجراء انتقال سياسي بعد إعداد دستور جديد وإجراء انتخابات رئاسية.

بقي الأسد يماطل في إعداد فريقه للجنة الدستورية في جنيف، وعندما أجبره الروس على ذلك، أرسل وفدا قال إنه يحظى بدعم الحكومة ولكنه ليس رسميا. طبعا لا يكترث الروس لهذا الهراء لأنهم الآن هم من يمثل دمشق رسميا في جنيف وأستانة وسوتشي وفي كل مكان حول العالم.

البطولات الهزلية للأسد تحولت إلى وباء طال كل من حوله. جميع شخوص النظام باتوا يتقمصون دور البطولة هذا، ويمارسون الانتصار في خطبهم وتصريحاتهم وكتاباتهم وحتى تغريداتهم وتعليقاتهم على وسائل التواصل الاجتماعي.

الأمثلة كثيرة من بينها، البطل الخارق وليد المعلم الذي شطب القارة الأوروبية عن خارطة العالم، وبشار الجعفري عنترة مجلس الأمن والأمم المتحدة، مرورا بنائبة مجلس الشعب خالد عبود، الذي اعتبر اعتراف دونالد ترامب بسلطة إسرائيل على الجولان انتصارا لسوريا، وليس آخرهم أحمد الكزبري فارس الوفد "المدعوم" من الحكومة إلى اللجنة الدستورية في جنيف.

ليس ساسة النظام وحدهم من أصابهم جنون الانتصار. فرسان إعلامه طالهم الداء أيضا. ذلك المراسل المسكين الذي كان يتباهى بالباصات الخضر، التي تقل المعارضين الرافضين للتسوية مع الروس، وقد تم الاستغناء عن خدماته لاحقا. وتلك المذيعة الغاضبة التي طردت من مقر الأمم المتحدة في جنيف، بعدما انتصرت بالصراخ على وفد المعارضة المشارك في إحدى جولات المفاوضات مع النظام بالمدينة السويسرية.

رغم وجود قوات عسكرية لخمس دول تحتل سوريا، ورغم كثرة الدلائل على تحول نظام دمشق إلى شبه سلطة يتجاوزها سياسيا أصغر مسؤول روسي أو إيراني. لا يزال الأسد يعتبر نفسه منتصرا في الحرب. لا يهم انتصاره على من؟ ولا يهم ماذا كلف البلاد انتصاره هذا؟ المهم كما في رواية "خريف البطريرك" أن يجد الطاغية عندما يسأل عن الوقت، من يجيبه "كما تريد يا سيدي".

النهضة وسيناريو التحالف مع «النداء» الجديد

أمين بن مسعود
كاتب ومحلل سياسي
تونسي

لن نُجانب الصواب إن قلنا إنّ تصويت حزب قلب تونس لصالح مرشح حركة النهضة راشد الغنوشي لرئاسة البرلمان، يمثل حدثا سياسيا هامًا، قد يحمل في طياته تداعيات وانعكاسات على المشهد السياسي في تونس، ولاسيما في ما يتعلق بتشكيل الحكومة القادمة وبطبيعة التوافقات في البرلمان وخارجه أيضا.

صحيح أنّ حركة النهضة وعلى لسان القيادي عبدالكريم الهاروني، تؤكّد أنّ التقاء النهضة وقلب تونس في المسار البرلماني من خلال التوافق على رئاسة البرلمان، لا يعني بالضرورة الالتقاء في المسار الحكومي، لكن الفصل بين منظومة الحكم في صيغتها التشريعية وبين تشكيل الحكومة، لاسيما وأنها تجسيد طبيعي لتوافقات البرلمان، من الصعب هضمه والاقتناع به.

تؤكّد المصادر السياسيّة داخل حركة النهضة وقلب تونس، أنّ جبل الجليد بين الحزبين آخذ في التلاشي والانهيار، ليس فقط لأنّ النهضة وجدت نفسها حيال "ضرورة التحالف" مع قلب تونس بعد استعصاء التيار الديمقراطي وحركة الشعب عليها، بل أيضا لأنّ خيار إعادة الانتخابات البرلمانية يجسّد كابوسا سياسيا وانتخابيا للحركة التي تستعدّ لمؤتمرها القادم.

إلا أنّ الثابت في هذا التقارب بين النهضة وقلب تونس أنّه لا يزال في خطواته الأولى وفي مرحلة تحسّس حقول الألغام السياسية الكثيرة، ولاسيّما أنّ المشهد السياسي التونسي القائم محكوم حاليا بـ"منطق الخيارات المتناقضة" حيث يفرض التحالف مع طرف استبعاد آخر، والعكس صحيح.

ولئن اتّضح جليا من خلال التصويت لصالح راشد الغنوشي وسميرة الشواشي، أنّ الكثير من الفيتوات قد تسقط بمقتضى الإكراهات والضرورات، فمن المناسب القول أيضا إنّ التفاهمات على الحكومة القادمة تحتاج إلى توافقات أعمق وأكثر اتساعا قد تتجاوز كثيرا التفاهمات على رئاسة رمزية للبرلمان.

وبعيدا أيضا عن المنطق الحسابيّ، الذي قد يضعنا ضمن مقاربات كميّة تضيع من بين ثناياها وحيثياتها حسابات الفاعل السياسيّ وضرورات الواقع، فإنّ مُشاورات تشكيل الحكومة دونها الكثير من المطبّات والعراقيل، التي قد تكون جلسة انتخاب رئاسة البرلمان قد خففت من وطأتها نسبيًا.

لعلّ من بين هذه المطبّات استعصاء الجمع بين "الخطّ الثوري" في شكليه، التيار الديمقراطي وحركة الشعب، مع قلب تونس، وصعوبة التقريب بين قلب تونس من جهة و"ائتلاف الكرامة" من جهة ثانية، إضافة إلى استحالة الجمع بين "الحق الدستوري" لتشكيل النهضة للحكومة وترؤسها وبين مطالب الكتل البرلمانية الأخرى.

وإذا أضفنا إلى هذا الواقع المتشعّب، الرفض المطلق الذي تبديه المنظمات الاجتماعية مثل اتحاد الشغل بصفة خاصة واتحاد الصناعة والتجارة بصفة أقلّ، ضدّ المُشاركة الفعلية لائتلاف الكرامة في الحكومة المقبلة، وهو فيتو لا يمكن لحركة النهضة تجاوزه كليا أو نسبيا، فإنّ السيناريوهات والبدائل تضيق أمام الحركة بشكل كبير.

بوصول الغنوشي إلى رئاسة البرلمان، ستتحرّك جزر برلمانية وتتقارب تكتلات وتتباعد أخرى وتتساقط فيتوات انتخابية كثيرة

وهُنا تظهر ثلاثة سيناريوهات/ فرضيات لحركة النهضة باعتبارها الفائزة في الانتخابات البرلمانية:

أوّلا: أن تعلن تنازلها عن رئاسة الحكومة وتبدأ في مشاورات جديدة مع التيار الديمقراطي وحركة الشعب وتحيا تونس وائتلاف الكرامة وبعض المستقلين، مستفيدة من وضعية انتخاب الغنوشي وملوّحة بإمكانية الانخراط في الخيار الثاني مع تحميل المسؤولية للتيار الديمقراطي وحركة الشعب.

ثانيا: أن تعلن تبنيها لحكومة مصلحة وطنية أو تكنوقراط، تحظى بشرعية برلمانية واسعة وتوافق منظماتي عريض، وتخرج بالتالي النهضة من فرضيات "حكومة الأقليات" أو إكراهات "حكومة الرئيس"، أو كابوس الانتخابات السابقة لأوانها.

ثالثا: أن تبني النهضة على التصويت الحاصل لفائدة الغنوشي والشواشي، وتبني عليه ليس فقط توافقا مع قلب تونس، بل مع روافد النداء الجديد، حيث المُشاورات القائمة بين قلب تونس وتحيا تونس وكتلة الإصلاح الوطنيّ، وهو تحالف إن صحّت تصريحات القيادي في تحيا تونس المهدي عبدالجواد، فسيحصل على 72 مقعدا.

الخيار الأرجح والأنسب لحركة النهضة، يكمن حاليا في المُساهمة في إحياء هذا الجسم البرلماني الجديد، ليس فقط لأنّه أكثرية عددية قد تساعدها في المُصادقة على الحكومة، بل لأنه سيكون استمرارا نسبيًا للتحالف مع "نداء الشاهد" ومع العائلة الوسطية التي تجد فيها النهضة دائما "درع الوِقاء" الداخلي و"الواقي" الخارجي.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk